الفصل التاسع

النشاط الجنسى الذاتى

ننتقل الآن إلى التأمل فى معالم أخرى متميزة فى الطريق إلى الرجولة ، من تلك المعالم التى اهتم لها المراهقون — فى البحث الحالى — اهتماماً خاصاً . ونبدأ — فى هذا الفصل — بمناقشة موضوع « النشاط الجنسى الذاتى[1] » ، أو ما يعرف عادة بالاستمناء أو العادة السرية ، وهو ما يأتى فى مقدمة الأسباب البارزة للمشكلات الانفعالية فى المراهقة .

ويكاد النشاط الجنسى الذاتى أن يكون أحد المعالم الثابتة فى النمو الانفعالى للمراهقين المصريين ، فلم يزد عدد الذين لم يزاولوه فى البحث الحالى عن ثلاثة أشخاص من مجموع ٦٧ مراهقاً . . . ومع ذلك فهناك فروق بين المراهقين فى حدة معاناتهم لهذا النشاط والآثار المترتبة عليه ؛ يتوقف ذلك على ظروف المراهق النفسية ، ونوع التوجيه الذى يتعرض له ، ومدى توافر

---

(١) آثرنا التعبير عن (الاستمناء) بالنشاط الجنسى الذاتى أو الجنسية الذاتية حتى تشمل التسمية وصفاً لهذه الظاهرة عند الجنسين ، إذ أن الاستمناء وصف ينطبق على أحد الجنسين فقط . وأما تعبير (العادة السرية) فعلاوة على أنه تعبير دارج ، فهو يوحى بالاثم والتحريم ، أى أنه يصدر حكما سابقا فى الموضوع ويزيد من إشاعة القلق بين المراهقين .

العناصر البانية الإيجابية فى حياته . . . وقد لوحظ أن أكثر المراهقين إغراقا فى « الجنسية الذاتية » — فى هذه الدراسة — مراهقو « الشكل الثانى » الذى تميز بالاتجاهات السلبية ، وفقر مجالات النشاط الرياضى الاجتماعى ، وانعدام التوجيه المناسب . كما أن أكثرهم اعتدالا المراهقون من حالات « الشكل الأول » وهو شكل المراهقة المتوازنة ، المشبعة ، المتكاملة الجوانب . ويليهم مراهقو « الشكل الثالث » الذين على الرغم من عدم تكيفهم المناسب ، قد اتجهوا بسلوكهم وجهة إيجابية — وإن تكن عدوانية .

ونستطيع أن نتبين مدى خطورة النشاط الجنسى الذاتى فى المراهقة ، من احتلاله جانباً كبيراً مما كتبه المراهقون عن أنفسهم . وقد وصفوا الطريقة التى تعرفوا بها عليه ، وشعورهم بإزائه ، والمعلومات التى نمت إليهم عنه ، ونجاحهم أو فشلهم فى التخفف منه . . وليس أدل على الأثر البارز لهذا النشاط فى حياة المراهقين من تذكرهم لهذه التفصيلات بعد انقضاء سنوات على المراهقة .

المعلومات الشائعة بين المراهقين :

والمعلومات التى تشيع بين المراهقين عن أخطار الجنسية الذاتية مبالغ فيها كثيراً ، يتبين منها حقيقة الكابوس المخيف الذى يخيم على أغلب المراهقين ، وتكشف عن الحاجة الماسة إلى ثقافة جنسية صحيحة . . وهذه عينة للمعلومات الشائعة كما دل عليها هذا البحث : —

— إن الاستمناء يجلب المرض والهزال .

— ويتسبب فى الإصابة بالسل .

— وقد يتسبب فى العقم وضعف القوى الجنسية .

— وهو يضعف النظر .

— ويؤدى إلى التدهور العقلى وربما إلى الجنون .

— ويعمل على تقصير العمر .

— وأما المجهود الذى يبذل فى الاستمناء فقد وصف بأوصاف كثيرة ، منها أنه يعادل العمل فى الحقل سبعة أيام بلياليها ، وأن المرة الواحدة تفقد الإنسان ملء فنجان من دمه ، وأنه يعادل مجهود الجماع مائة مرة ! !

— هذا كله ، إلى جانب التحريم الدينى والتعرض للعقاب فى الآخرة .

وفى الوقت نفسه تسود بين المراهقين الأفكار الآتية عن مزايا الاستمناء : —

— يعمل على إنقاص حب الشباب فى الوجه .

— ويعالج السمنة ، إذ يؤدى إلى خفض وزن الجسم .

— ويعين التلميذ على التركيز فى دراسته ، بامتناع الكبت الجنسى .

— ويتيح إشباعاً جنسياً ، يعود المراهق بعده خالصاً لدنيا الخيال .

ومن المعتقدات الشائعة بين المراهقين وجود علاقة بين التدخين واللذة فى النشاط الجنسى الذاتى . ولذلك يقبل بعض المراهقين على التدخين بتأثير هذا الاعتقاد ، بالإضافة إلى محاولتهم الظهور بمظهر الرجولة .

مصادر المعلومات الجنسية :

والمصادر التى يستقى منها المراهقون معلوماتهم الجنسية كثيرة متعددة ، وهى تختلف اختلافاً بينا فى الآثار التى تخلفها فى نفوس المراهقين . . . فالمصادر التى تتيح ثقافة جنسية صحيحة — كالكتب العلمية — قليلة نادرة ، وأما أغلبها فإنه يمد المراهق ببيانات مشوشة مضللة ، تقرن فيها الموضوعات الجنسية أحيانا بالاثم والعار ، وأحيانا بالإباحية والاستخفاف والتهكم . وفيما يلى مصادر المعلومات الجنسية كما كشف عنها البحث الحالى : —

— أول المصادر فى الأهمية والشيوع ، أفراد ثلة المراهق الأكبر منه سنا ، أو زملاء الدراسة ، أو أبناء الجيرة ... وعن طريق هذا المصدر سمع كثير من المراهقين عن البلوغ وعلامات البلوغ ، قبل أن يبلغوا فعلا . وكان هذا داعيا لكثير منهم لإجراء المحاولات التجريبية فى الجنسية الذاتية ، تعجلا للبلوغ أو إثباتاً له . كذلك تأثر بعض المراهقين بالتوجيه السيء للثلة فى الإقبال على التدخين والهروب من المدرسة ، وإدمان السينما « وروايات الجيب » واختراع قصص المغامرات ، والإقدام على معاكسات الطريق .. الخ . وفى كل هذا كانوا يعتقدون — بتأثير المعلومات الشائعة بين الأقران — أن هذا السلوك من مظاهر الرجولة ، كما كانوا مضطرين إليه للتقرب من أفراد الثلة .

— ومن مصادر المعلومات الجنسية ، الكتب على اختلاف أنواعها . .

وكثير من هذه الكتب رمى إلى الإثارة الجنسية فحسب ، فجاءت مادته زائفة منحرفة . ولكن بعضها الآخر كان مصدر ثقافة جنسية علمية ، ومن ذلك المجلات العلمية كمجلة « الدكتور » وبعض الكتب والمقالات المترجمة .

وقد قرر طلاب المعاهد الدينية أنهم وجدوا الإجابة عن كثير من الأسئلة حول موضوعات الجنس ، فى المناهج الدراسية المقررة عليهم ، وفى كتب الفقه التى تعالج موضوعات كالإنزال وأنواعه ، والإيلاج ومتى يجب الغسل فيه والمسائل المتفرعة من هذه الأصول والحوانى .

— وكانت دروس الأحياء من المصادر التى استقى منها المراهقون بعض معلوماتهم ... وقد تحين بعض المدرسين الأريبين فرصة مواضع خاصة فى علم الأحياء للشرح العلمى للنواحى الجنسية . . . وقرر طلابهم أن هذا الشرح أدى إلى ارتياحهم وتخففهم من القلق حول هذه الموضوعات .

— وكان الأب أو الأخ الأكبر أو الرائد الدينى فى بعض الحالات ، مرشداً للمراهق فى تصحيح أو تكميل معلوماته الجنسية ، وإن لم يتبع هؤلاء دائماً الأساليب المناسبة فى الحديث والمناقشة .

— وقرر عدد من المراهقين أن بعض معلوماتهم عن الجنس جاءت عن طريق مشاهدتهم — وهم بعد صبية — للجماع بين الوالدين ...

— كما قرر عدد آخر أنهم كانوا على جهل جنسى تام ، حتى جمعتهم بعض المواقف مع جارة أو قريبة عابثة ، كانت هى المصدر الأول للمعرفة الجنسية .

مشكلات النشاط الجنسي الذاتي :

في مبدأ إقبال المراهق على الجنسية الذاتية ، يكون مدفوعا عادة بالرغبة الاستطلاعية في تجربة ما سمع عنه من أقرانه ، وبمحاولة مجاراة الأقران فيما يظنون أنه من دلائل الرجولة وعلاماتها . فالمحاولات الأولى في الجنسية الذاتية — وخاصة إذا قرنت بنتيجة إيجابية تثبت البلوغ — تكون مصدر فرح وافتخار للمراهق . . حيث أنه يدعم عن طريقها مركزه بين ثلة الأقران ويؤكد رجولته ، إلى جانب ما يشتقه من المتعة الحسية . كذلك تتأثر التجارب الأولى بما يعتمل في نفس المراهق من رغبات ونوازع جديدة ، تترتب على السرعة الكبيرة في النمو الجسمي الغددي . وقد توصل بعض المراهقين إلى ممارسة الجنسية الذاتية دون أن يدلهم عليها أحد ، وذلك بتأثير الدافعية الذاتية الجديدة ، وعن طريق الصدفة والاستثارة الناتجة عن الاحتكاك العشوائي لبعض أجزاء الجسم . . . ونظراً لما في النشاط الذاتي من إشباع عاجل ، فإنه سرعان ما يتمكن من غالبية المراهقين ، فيأخذ شكلا من أشكال الاستمرار ، وتصبح له قوة العادة الآسرة .

وقد ظل كثير من المراهقين يباشرون هذا النشاط لمدد طويلة أو قصيرة دون معاناة لألم نفسي أو ارتباطات ذهنية مفزعة . (وينطبق هذا بصفة خاصة على الذين اكتشفوه عن طريق الصدفة وجهلوا معرفة غيرهم به) . ولم يبدأ الجزع الحقيقي والأزمات النفسية إلا بعد أن تجمعت لدى المراهقين المعلومات التي تحذر من العواقب المخيفة للجنسية الذاتية . . وهنا يبدأ

الصراع العنيف المحض بين الرغبة فى الامتناع ، والصعوبة الكبرى فى ذلك .. بين نواهى « الأنا العليا » من جانب ، والقهرية المترتبة على العادة والإشباع العاجل من جانب آخر . ويؤلف هذا الصراع مشكلة انفعالية قوية ، وبخاصة فى المراهقة الجديدة المحرومة التى لا تجد السبيل إلى الإشباع العاطفى أو إلى المجالات العملية الخارجية .

وقد عبر كثيرون عن هذا الصراع بأنهم كانوا يقسمون على الكتب المقدسة ألا يعاودوا الممارسة ، أو كانوا يلجأون إلى الصلاة فزعا من شبح ما يتصورون من خطيئة وخطر ، فلا يمضى على ذلك سوى أيام معدودة حتى يعودوا إليها مقهورين ... ثم يتكرر الأسف والندم ، وتتكرر الردة بعد القسم ، والمراهق يعيش فى خوف دائم وهم مقيم ، يظن أنه يسير إلى نهاية محتومة أو أنه من الهالكين !

ولننظر — على سبيل المثال — فيما كتبه أحد هؤلاء المراهقين ، وكان يعانى من تهكم أفراد ثلته منه بسبب تخلفه فى مظاهر الرجولة وامتلاء جسمه . وقد نصحه أحدهم بأن يلجأ إلى الجنسية الذاتية يعالج بها هذا العيب الأخير ، فيسلم من أذى أقرانه ويحظى منهم بالقبول والتقدير — كتب هذا المراهق يقول :

« كان رمضان مقبلا — فهل أتوقف عن ممارسة (العادة السرية) وأتحمل إيذاء الآخرين ؟ أم أنتهز فرصة الصيام والامتناع عن الطعام من جهة ، وجهود العملية نفسها من جهة أخرى ، لأبلغ غايتى من خفض

وزن جسمى ؟ ! ... وكان صراعا شديداً ، وخصوصاً لما يلقى فى رمضان من مواعظ .. وكنت أنساق مع (العادة) — لأقضى بقية يومى فى عذاب ونكد مريرين ، بلغا حد البكاء فى عزلة بين المزارع !

وليت الأمر اقتصر على هذا . فإن أهلى وأقاربى كانوا يتابعوننى ليتأكدوا من مواظبتى على الصلاة .. فكيف أتخلف عن صلاة الجمعة فيكتشف الناس ذلك ؟ وكيف أقف بين يدى الله «جنبا» .. هل جننت ؟

وأخيراً وجدت الحل .. فى الوقوف بين المصلين ، آتيا حركاتهم دون الأقوال . ثم كنت أعود بعدها إلى المنزل خائر القوى ، متخاذلا لما أتردى فيه من ضلال .. يخيل إلى أننى شيطان فى ثوب راهب . أحادث نفسى بقولى .. يا مخادع .. يا ضليل !! »

وإلى جانب الصراع النفسى العنيف ، قابل المراهقون مضايقات أخرى بسبب الاستمناء وكذلك بسبب الاحتلام الليلى ، هذا بعض منها :

— عانى كثيرون من مشكلة الاضطرار للاستحمام عقب الاستمناء أو الاحتلام ، كما يحتم الدين ، وحتى يستطيع المراهق المواظبة على الصلاة .. ولما كان الاغتسال المتكرر مما يثير ظنون الأشخاص المحيطين بالمراهق ، فقد اضطر البعض إلى البحث عن وسيلة لذلك بعيداً عن عيون الأهل .. فمنهم من لجأ إلى المسجد ليستحم بالماء البارد فى زمهرير الشتاء ، ومنهم — فى الريف — من لجأ إلى النهر أو الترعة ... وحتى هذا الحل الأخير لم يكن دائماً بالحل الموفق ، نظراً لاعتقاد أهل الريف بفساد البالغ الذى

بكثير من الاستحمام فى النهر . كما أصيب البعض بالبلهارسيا نتيجة الماء الملوث !

وقد اضطر عدد من الراهقين — إزاء هذه المشكلة — إلى تأدية الصلاة أحيانا وهم على الجنابة ، مع علمهم بأن هذه الصلاة باطلة دينيا ، مما أضاف إلى حدة القلق والصراع حول الجنسية الذاتية .

— ومن صعوبات بعض الراهقين من المسيحيين ، اضطرارهم إلى الاعتراف للكاهن بالمشكلات الجنسية ، مما ضاعف شعورهم بالذنب والخطيئة ، وخاصة إذا كانوا من المعروفين فى الجمعيات الدينية بتقاهم وغيرتهم على الدين ، أو كانوا ممن يعظون غيرهم فى هذه الجمعيات .

— وروى بعض الراهقين أن مما أرهقهم كثيراً ، محاولة الفصل بين اللذة الجنسية والعاطفة المثالية الخالصة . . فكانوا لهذا السبب يحاولون أن يميزوا بين موضوع الحب الخالص وموضوع التفكير الجنسى ، فيقعون فى الحيرة والاضطراب نتيجة اختلاط الصور والأحاسيس وشعورهم بالجرم إزاء ذلك .

— كذلك كان من مضايقات غالبية الراهقين ، الشعور الذى عبر عنه أحدهم بقوله إنه كان يبيع أشياء كثيرة (يقصد صحة البدن والقيم الروحية) مقابل ثمن زهيد هو لحظة من الاستمتاع والراحة .

التخفف من الجنسية الذاتية :

ودراسة العوامل والظروف التي أتاحت لبعض المراهقين أن يتخففوا من الجنسية الذاتية ، دراسة لا تخلو من المغزى فى الإشارة إلى بعض الأساليب التى يمكن اتباعها فى توجيه المراهقين . وفيما يلى نتائج هذه الدراسة : —

١ — كان السبب الأول للتخفف أو الاعتدال ، تعلق المراهق الرومانسى بأحد أفراد الجنس الآخر ، حيث تسمو العاطفة الشعرية بالمراهق عن الانسياق فى تيار اللذة الحسية ، وحيث يحاول كذلك أن يظهر على صحة طيبة أمام موضوع تعلقه وحبه .

٢ — قرر كثير من المراهقين أن ممارستهم للجنسية الذاتية كانت تقل فى الفترات التى يقبلون على الرياضة والنواحى الترفيهية ، وتزيد مع إهمال هذه النواحى (وتتفق هذه النتيجة مع ما شوهد من أن أفراد « الشكل الأول » كانوا أكثر المراهقين اعتدالا بصفة عامة) ... وقرروا أيضا أن الإفراط كان يرتبط بمواقف الفشل وبالعقبات غير المادية التى تعترض حياتهم . والمعنى فى هذا واضح ، فالنشاط الجنسى الذاتى فى هذه الحالة هو نوع من النكوص إلى الماضى ، كما هو شكل من أشكال الهروب من الواقع المشكل .

٣ — ساعدت النصيحة المقرونة بالتوجيه العملى إلى مجالات خارجية ،

على تعديل سلوك بعض المراهقين . . وكان للنصيحة أثرها القوى عند صدورها من شخص وثيق الصلة بالمراهق ، كالأب أو المدرس أو الرائد الديني أو الرياضي ، أو عند صدورها من شخص أو هيئة يمتد برأيها كالمجلات والكتب العلمية والأطباء .

٤ — أما الخوف فقد كان فى مؤخرة العوامل التى حدت بعدد من المراهقين إلى الاعتدال . . وأول أنواع الخوف فى إحداث هذا الأثر ، التخوف من العقم وضعف القوى الجنسية (على ما نما إلى المراهقين من معلومات غير صحيحة) ويليه التخوف من التحذيرات الدينية والتخوف من أضرار أخرى صحية متوهمة .

٥ — وبعض الأفراد تخلصوا من الجنسية الذاتية عندما أصبحت لهم العلاقات الجنسية الطبيعية ، كالزواج . . وهذا أمر مفهوم .

الذين لم يلجأوا للجنسية الذاتية :

وفى الحالات المدروسة ، ثلاث حالات فقط قرر أصحابها أنهم لم يلجأوا إطلاقاً إلى الجنسية الذاتية . فى حالة منها كان للمراهق اهتمامات واسعة فنية وأدبية ورياضية ، انصرف بطاقته إليها انصرافاً تاما . وفى الحالتين الأخريين كان الامتناع نتيجة مثالية دينية ، ونتيجة نظرة المراهق الرفيعة إلى نفسه ، المتأثرة بتقدير الآخرين لتدينه الشديد ولصفاته الخلقية العالية . وقد كان إعجاب الإخوان بمقدرة المراهق على ضبط النفس مدعاة له على

الاستمرار فى الامتناع . . وجدير بالذكر أن الحالات الثلاث تنتمى إلى « الشكل الأول » للمراهقة ، الذى وصف بالتوافق واتزان الحياة النفسية وتعدد اتجاهاتها . كما أن إحدى الحالات كان صاحبها متخلفا بعض الشىء فى نموه الجسمى وفى موعد البلوغ ، مما يوحى باحتمال التخلف فى نموه العقلى .

توجيه المراهقين :

وضح مما تقدم الدور الخطير الذى يلعبه النشاط الجنسى الذاتى فى المراهقة وافتقار المراهقين إلى المعلومات العلمية الصحيحة وكذلك حاجتهم إلى التوجيه فى هذا الشأن . ولعل من المناسب فى هذا المجال أن نفصل الأمر فيما يتعلق بتوجيه المراهقين ، وإن كانت بعض مبادىء هذا التوجيه قد اتضحت فيما سبق من مناقشة لنتائج البحث . —

١ — تعتمد عملية التوجيه أساساً على تحويل طاقة المراهق النفسية إلى مجالات خارجية ، كالرياضة والنشاط الاجتماعى والعملى والفنى — ذلك أن معنى الجنسية الذاتية هو اتجاه الطاقة النفسية إلى الذات بدلا من اتجاهها إلى المجتمع ؛ فالجنسية الذاتية هى شكل من أشكال الاكتفاء الذاتى والانطواء والارتداد إلى النفس ، وخطرها الحقيقى يكمن فى أن يصبح الاكتفاء الذاتى أسلوبا عاما فى الحياة يحول دون التجاوب الاجتماعى والمشاركة فى الأساليب الاجتماعية . . (وفى بعض الحالات المتطرفة ، يؤدى

الإسراف فى النشاط الجنسى الذاتى إلى فشل العلاقات الطبيعية بعد الزواج . والسر فى ذلك تعود الاكتفاء الذاتى والإشباع الفردى العاجل دون المشاركة والحب الذين لابد منهما فى العلاقة الجنسية الناجحة) .

لذلك فليس أنجع فى مقاومة الجنسية الذاتية من أن تكون للمراهق الصداقات والعلاقات الاجتماعية الناجحة ، ومن أن تكون له الاهتمامات الواسعة الرياضية والفنية والعملية . فالهوايات المختلفة — سيما تلك التى تقتضى المبادلة والتعاون مع آخرين — والأسر والجمعيات المدرسية ، وأندية الشبيبة الرياضية والاجتماعية ، هى وسائل المراهقين للانصراف عن التفكير الدائب فى أنفسهم ومشكلاتهم ، وللتخلص من الاتجاهات السلبية والتعلق بالأهداف الاجتماعية الإيجابية .

٢ — يتأثر الإسراف فى الجنسية الذاتية بجدب الحياة العاطفية للمراهق ، وبامتناع الجنس الآخر فى محيطه الاجتماعى . فإذا أتاحت بعض مجتمعات المراهقين — كالأسرة والجمعيات والأندية الاجتماعية — فرص المسامرة والنشاط الاجتماعى الذى يشترك فيه الجنسان ، فإنها تهيىء للمراهقين النمو الوجدانى السليم ، وتنحو بهم نحو الاتزان العاطفى ، كما تتيح لهم تصحيح فكرتهم عن الجنس الآخر المبنية على وهم التصور أو زيف الخيال !

٣ — معاملة المراهق المعقولة فى المنزل والمجموعات الأخرى ، وشعوره بتقدير من حوله وباحترامهم لاستقلال شخصيته ، وإتاحة فرص النجاح والمسئولية للمراهق ، وتجنيبه مواقف الفشل والإحباط المتكررة ... كلها

من العوامل التى تهيىء للشخصية المتكاملة المتوازنة ، وتنأى بالمراهق عن الإيغال فى الاتجاهات السلبية بصورها المتعددة .

٤ — الدين سياج قوى اعتصم به كثير من المراهقين ، فتلمسوا فيه القوة ، وكانوا أقدر من غيرهم على ضبط النفس ، والصبر ، وتحمل المشاق . وينطبق هذا بصفة خاصة على من اصطبغ تدينهم بصبغة عملية اجتماعية ، وكان أساسه الفهم والبصيرة الواعية دون السطحية والطقوسية .

لذلك فإن رجال الدين والهيئات الدينية من الدعامات الهامة التى يعتمد عليها توجيه المراهقين فى حياتهم . ويقتضى الأمر أن يكون المشرفون على المراهقين فى الجمعيات الدينية ممن يتفهمون مشكلات المراهقة ويعطفون عليها ويقبلون على معالجتها بروح واقعية تبعد عن التزمت ، وتدرك أن الدين يسر لا عسر ، وتستعين بالتوجيه العملى تملأ به فراغ المراهقين بالأهداف الاجتماعية الإنشائية . . . . وأما أساليب التخويف ، والتعنت ، وتضييق الخناق على المراهق بالمحظورات والممنوعات ، والمبالغة الشديدة التى تتجاهل الواقع الفعلى . . فعلاوة على أنها لا تجدى فى تخفف المراهق من مشكلاته ، فهى توقعه فى الحيرة والصراع وتتركه ممزقاً لا يستطيع أن يتجه عنة أو يسرة ، وقد تقنعه بأن الدين شىء لا قبل له به فيعرض عنه إعراضاً !

٥ — ويحتاج أغلب المراهقين إلى أن يعرفوا حقيقة الأمر فيما يتعلق بالأضرار الصحية للنشاط الجنسى الذاتى . والآراء الطبية الحديثة تجزم بأن الممارسة

للعملة ليس لها أضرار صحية ، وأن الأمر لا يختلف فى الاستمناء عنه فى العلاقة الجنسية الطبيعية ، فالأضرار فى الحالين هى أضرار الإفراط والإسراف والمبالغة . . . . . ويجدر بالذكر أنه حتى فى العلاقة الطبيعية ، يختلف مدى التأثر الصحى باختلاف الأفراد أنفسهم فى الاستعداد الصحى والظروف النفسية ونوع التغذية وأسلوب المعيشة ونوع العمل الذى يباشره الفرد وما يقتضيه من مجهود ، إلى غير ذلك . أى أنه لا يوجد مقياس واحد يمكن تطبيقه على جميع الأفراد للتمييز بين الاعتدال والإفراط .

٦ — ويحتاج بعض المراهقين إلى أن يعرفوا أنهم ليسوا شواذا فى ممارستهم للجنسية الذاتية . فهذا الظن الخاطىء بالاختلاف أو الشذوذ مما يضاعف قلق هؤلاء المراهقين وجزعهم . . . وحقيقة الأمر أن الممارسة تكاد تكون هى القاعدة ، وهى لا تزيد عن كونها مرحلة فى النمو الجنسى الانفعالى . وكما هو الشأن فى سائر مراحل النمو ، ليس العيب أو الخطأ فى المرور بالمرحلة وإنما الخطأ والخطر فى الوقوف عند مرحلة معينة دون الانسلاخ منها إلى المرحلة التالية فى التطور . . . . وهذا الوقوف يسميه علماء النفس «التثبيت» على مرحلة بذاتها . ويعنى التثبيت تأخر النمو والنضج ، فهو بذلك نوع من انحراف النمو عن طريقه العادى .

توجيه إلى الموجهين :

ولا بد فى هذا المجال من كلمة توجيهية إلى المدرسين والمربين عامة الذين تحدوهم الرغبة المخلصة فى توجيه أبنائهم فى الموضوعات الجنسية . ذلك إن

التربية الجنسية تخضع لمبدأ عام من مبادىء التربية عموماً ، وهو عدم طرق موضوع من الموضوعات قبل ظهور حاجة المتعلم إليه وقبل وصول المتعلم إلى مرحلة النضج المناسبة لهذا الموضوع . . . نقول هذا لمناسبة ما قرره أحد المراهقين من أنه سمع عن الجنسية الذاتية أول ما سمع من أحد المدرسين الذى أراد أن يحذر تلاميذ فصله من عواقبها ومضارها ! ! . . وقد أتى هذا الحديث بنتيجة عكسية عند المراهق الذى لم يجرب هذا الأمر من قبل ، فقد كان هذا الحديث بمثابة تحريض على التجربة وتعريف بها ! ! ولم يكن هناك بأس من حديث المدرس إلى فصله فى هذا الموضوع لو أنه كان متأكداً من بلوغ التلاميذ جميعاً المستوى المناسب من النضج ، ومن اشتراكهم فى المشكلة التى أراد أن يطرقها . ولكن الفصول الدراسية بتقسيمها الحالى فى المدارس المصرية تضم تلاميذ من مختلف الأعمار ، يتفاوتون فى نموهم الجسمى والانفعالى ، ويختلفون بالتالى فى الميول وموضوعات الاهتمام . . ولذلك فقد لا يكون الفصل الدراسى هو المكان المناسب لمناقشة مشكلات انفعالية يتفق فيها بعض التلاميذ ولا يتفق فيها بعضهم الآخر . ونرى أن يختار لهذه المناقشة الاجتماعات غير الرسمية التى تجمع المدرس ببعض تلاميذه المتقاربين فى مستوى النضج الانفعالى ، فى رحلة من الرحلات ، أو جماعة من الجماعات المدرسية . . . وربما كان للطابع غير الرسمى للاجتماع ميزة التجاوب بين المدرس وتلاميذه ، الذين ينظرون إليه نظرتهم إلى صديق أوسع تجربة أو أخ أكبر أو بديل للأب .